

مختصر ابن كثير

- 63 - أفرأيتم ما تحرثون .
- 64 - أأنتم تزرعونه أم نحن الظارعون .
- 65 - لو نشاء لجعلناه حطاما فظلتم تفكهون .
- 66 - إنا لمغرون .
- 67 - بل نحن محرومون .
- 68 - أفرأيتم الماء الذي تشربون .
- 69 - أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون .
- 70 - لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشکرون .
- 71 - أفرأيتم النار التي تورون .
- 72 - أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون .
- 73 - نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين .
- 74 - فسبح باسم ربك العظيم .

يقول تعالى : { أفرأيتم ما تحرثون } ؟ وهو شق الأرض وإثارتها والبذر فيها { أأنتم تزرعونه } ؟ أي تنبتونه في الأرض { أم نحن الظارعون } ؟ أي بل نحن الذي نقره قراره وننبته في الأرض روي عن حجر المدربي أنه كان إذا قرأ { أأنتم تزرعونه أم نحن الظارعون } وأمثالها يقول : بل أنت يا رب وقوله تعالى : { لو نشاء لجعلناه حطاما } أي نحن أنبتناه بلطفنا ورحمتنا وأبقيناها لكم رحمة بكم ولو نشاء لجعلناه حطاما أي لأبيسناه قبل استواه واستحصاده { فظلتم تفكهون } . ثم فسر ذلك بقوله : { إنا لمغرون ... بل نحن محرومون } أي لو جعلناه حطاما لظلتم تفكهون في المقالة تنوعون كلامكم فتقولون تارة { إن لمغرون } أي لملقون وقال مجاهد وعكرمة : إنا لمولع بنا وقال قتادة : معدبون وتارة تقولون : { بل نحن محرومون } أي لا يثبت لنا مال ولا ينتج لنا ربح وقال مجاهد { بل نحن محرومون } أي مجدودون يعني لا حظ لنا وقال ابن عباس ومجاهد { فظلتم تفكهون } تعجبون وقال مجاهد أيضا { فظلتم تفكهون } تفجعون وتحزنون على ما فاتكم من زرعكم وهذا يرجع إلى الأول وهو التعجب من السبب الذي من أجله أصيروا في مالهم وهذا اختيار ابن جرير . وقال عكرمة { فظلتم تفكهون } تلاؤمون وقال الحسن وقتادة { فظلتم تفكهون } تندمون ومعناه إما على ما أنفقتם أو على ما أسلفتم من الذنب قال الكسائي : تفكه من الأضداد تقول العرب : تفكيهت بمعنى تنعمت وتفكيهت بمعنى حزنت . ثم قال تعالى : { أفرأيتم الماء الذي تشربون ... أأنتم

أنزلتهم من المزن } يعني السحاب { أم نحن المنزلون } يقول بل نحن المنزلون { لو نشاء
جعلناه أجاجا } أي زعافا مرا لا يصلح لشرب ولا زرع { فلولا تشکرون } أي فهلا تشکرون نعمة
إليكم في إزاله المطر عليكم عذبا زلا { لكم منه شراب ومنه شجر فيه تسيمون } روى
ابن أبي حاتم عن جابر عن أبي جعفر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا شرب الماء
قال : " الحمد للذي سقانا عذبا فراتا برحمته ولم يجعله ملحا أجاجا بذنبنا " (أخرجه
ابن أبي حاتم) ثم قال : { أفرأيتم النار التي تورون } أي تقدحون من الزنداد
وستخرجونها من أصلها { أأنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون } أي بل نحن الذين جعلناها
مودعة في موضعها وللعرب شجرتان : إحداهما (المرخ) والأخرى (العفار) إذا أخذ منها
غصنان أحضران فحك أحدهما بالآخر تناثر من بينهما شرر النار و قوله تعالى : { نحن جعلناها
تذكرة } قال مجاهد وقتادة : أي تذكر النار الكبيرة وعن النبي صلى الله عليه وسلم قال :
إن ناركم هذه جزء من سبعين جزء من نار جهنم وضربت بالبحر مرتين ولولا ذلك ما جعل الله
فيها منفعة لأحد " (أخرجه أحمد عن أبي هريرة مرفوعا) وقال الإمام مالك عن أبي هريرة أن
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " ناربني آدم التي يوقدون جزء من سبعين جزء من نار
جهنم " فقالوا : يا رسول الله إن كانت لكافية فقال : " إنها قد فضلت عليها بتسعة وستين
جزءا " وفي لفظ : " والذي نفسي بيده لقد فضلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها "
(أخرجه مالك ورواه البخاري ومسلم) .

وقوله تعالى : { ومتاعا للمقوين } قال ابن عباس ومجاهد : يعني بالمقوين المسافرین
واختاره ابن حرير وقال ابن أسلم : المقوى هنا الجائع وقال ليث عن مجاهد { ومتاعا
للمقوين } : للحاضر والمسافر لكل طعام لا يصلحه إلا النار وعنه { للمقوين } يعني
المستمتعين من الناس أجمعين وهذا التفسير أعم من غيره فإن الحاضر والبادي من غني وفقير
الجميع يحتاجون إليها للطبخ والاصطلاء والإضاءة وغير ذلك من المنافع ثم من لطف الله تعالى
أودعها في الأحجار وخلص الحديد بحيث يتمكن المسافر من حمل ذلك في متاعه وبين ثيابه
إذا احتاج إلى ذلك في منزله أخرج زنده وأوري وأوقد ناره فاطبخ بها واصطلح بها واستشتو
واستأنس بها وانتفع بها سائر الانتفاعات فلهذا أفرد المساوروں وإن كان ذلك عاما في حق
الناس كلهم وفي الحديث : " المسلمين شركاء في ثلاثة : النار والكلأ والماء " (أخرجه
أحمد وأبو داود) وفي رواية : " ثلاثة لا يمنعن : الماء والكلأ والنار " (أخرجه ابن ماجة
بإسناد حسن) . قوله تعالى : { فسبح بسم رب العظيم } أي الذي بقدرته خلق هذه الأشياء
المختلفة المتضادة الماء الزلال العذب البارد ولو شاء لجعله ملحا أجاجا كالبحار المفرقة
وخلق النار المحرقه وجعل ذلك مصلحة للعباد وجعل هذه منفعة لهم في معاش دنياهم وزجرًا
لهم في المعاد

